
سلسلة
قصص في الأخلاق
٤
قصص في البر
إبراهيم خليل
دار الغوثاني
www.iqra.ahlamontada.com
منتدى اقرأ الثقافي



سلسلة قصص الأخلاق

٤

قصص في



إعداد
إبراهيم خليل



الموضوع : الآداب (القصص)
العنوان : قصص في البرِّ
إعداد : إبراهيم خليل
عدد الصفحات : ١٦
قياس الصفحات : ١٤×٢٠
رقم التسلسل : ٥٩



دار الغوثاني للدراسات القرآنية

سورية - دمشق - حلبوني - ص.ب ٢٥٢٣٧
فاكس : ٢٤٥٤٠١٣ ١١ ٩٦٣+ هاتف ٢٤٥٣٦٣٨ ١١ ٩٦٣+
algwthani@scs-net.org

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

بِرٌّ عَظِيمٌ

كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ يطِيعُ وَالِدَتَهُ، وَيعْطِفُ عَلَيهَا، وَيرْعَاهَا أَفْضَلَ رِعَايةٍ، ولَكِنَّهُ كَانَ لا يأْكُلُ مَعَهَا فِي إِنَاءٍ؟

فَلَمَّا عَرَفَ النَّاسُ ذَلِكَ تَعَجَّبُوا مِنْ أَمْرِهِ، فَكَيفَ يبَرُّ وَالِدَتَهُ، وَلا يأْكُلُ مَعَهَا.

فَقَالَ لَهُ بَعْضُ النَّاسِ: إِنَّكَ مِنْ أَبَرِّ النَّاسِ، وَلا تَأْكُل مَعَ أُمِّكَ فِي صَحْفَةٍ (إِنَاء)!

فَقَالَ الابْنُ البَارُّ: أَخَافُ أَنْ تَسْبِقَ يدِي يدَهَا إِلَى مَا تَسْبِقُ عَينَاها إِلَيهِ، فَأَكُونُ قَدْ عَقَقْتُهَا.

بِرٌّ يُدْخِلُ الْجَنَّةَ

كَانَ حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ يبَرُّ وَالِدَتَهُ بِرّاً عَظِيماً، فَكَانَ جَزَاؤُهُ الْجَنَّةَ.

فَذَاتَ يومٍ، نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَرأَى كَأَنَّه فِي الْجَنَّةِ، وإِذَا بِهِ يسْمَعُ صَوتَ قَارِئٍ يقْرَأُ الْقُرْآنَ.

فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ لَهُ: هَذَا حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ.

فَقَالَ ﷺ: «كَذَاكَ الْبِرُّ، كَذَاكَ الْبِرُّ». فَهَنِيئاً لَهُ الْجَنَّة الَّتِي نَالَهَا بِبِرِّهِ لِوَالِدَتِهِ.



بِرٌّ بَعْدَ الْمَمَاتِ

كَـانَ هُنَـاكَ رَجُـلٌ، يبَـرُّ وَالدَيـهِ، وَيعْطِـفُ عَلَيهِمَـا، وَيرْعَاهُمَا أَحْسَنَ رِعَايةٍ.

وَبَعْدَ أَنْ مَاتَ وَالِدُهُ، ذَهَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ لَهُ: هَلْ عَلَيّ مِنْ بِرِّ أَبوَيَّ شَيءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِمَا.

فَقَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ: «نَعَـمْ، الصَّـلاةُ عَلَيهِمَـا، والاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا، وإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لا تُوصَلُ إِلاَّ بِهِمَا».

فَنِعْمَ ذَلِكَ الابْنُ الْحَرِيصُ عَلَى بِرِّ وَالِديهِ فِـي حَياتِهِمَـا، والدَّائمُ عَلَى بِرِّهِمَا بَعْدَ مَمَاتِهِمَا.

*****

العِمَامَةُ والْحِمَارُ!!

ذَاتَ يومٍ، خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ مُسَافِرًا إِلَى مكَّةَ، وَعَلَى رَأسِهِ عمَامَةٌ. وكَانَ قَدْ أخَذَ مَعَهُ حِمَارًا يسْتَرِيحُ عَلَيهِ إِذَا تَعِبَ مِنْ رُكُوبِ الرَّاحِلةِ.

وَفِي الطَّرِيقِ، قَابَلَهُ أعْرَابِي، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: أَلَسْتَ فُلانَ ابْنَ فُلان؟ فَقَالَ الأعْرَابِي: بَلَى.

فَنَزَلَ عَبْدُ اللَّه مِنْ عَلَى حِمَارِه، وَخَلَعَ عِمَامَتَهُ، ثُمَّ قَالَ لِلأَعْرَابِي: اركَبْ هَذَا الْحِمَارَ، وَخُذْ هَذِهِ الْعِمَامَةَ.

فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ عَبْدِ اللَّهِ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ، أَعْطَيتَ هَذَا الأَعْرَابِيَّ حِمَارًا كُنْتَ تَرُوحُ عَلَيهِ، وَعِمَامةً كُنْتَ تَشُدُّ بِهَا رَأسَكَ!!

فَكَشَفَ لَهُمْ عَنْ سِرِّ فِعْلِه ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقُولُ: «إِنَّ مِنْ أَبَرِّ البِرِّ أَنْ يصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيه، بَعْدَ أَنْ يولِّي (يمُوتَ)»، وإِنَّ أَبَاهُ كانَ صَدِيقًا لِعُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* * * * *

حَقُّهَا عَظِيمٌ

يرْوَى أَنَّ رَجُلاً كَانَ يحْمِلُ أُمَّهُ عَلَى كَتفَيهِ وَيطُوفُ بِالبَيت، وَلَمَّا انْتَهَى الرَّجُلُ مِنَ الطَّوافِ ذَهَبَ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ يسْأَلَهُ: هَلْ أَدَّيتُ حَقَّ أُمِّي؟

وَقَدْ كَانَ يظُنُّ أَنَّ حَمْلَهُ لأُمِّهِ فِي الطَّوَافِ غَايةُ الإكْرَامِ والْبِرِّ بِهَا والإحْسَانِ إِلَيهَا. فَقَالَ لَهُ النَّبِي ﷺ: «لا، وَلا بِزَفْرَةٍ وَاحِدةٍ».

أي أَنَّ ما فَعَلَهُ لأُمِّهِ لا يسَاوي لَحْظَةً مِنْ لَحظَاتِ التَّعَبِ الَّذِي لاقَتْهُ أُمُّهُ أَثْنَاءَ الوِلادَةِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥].

فَمَا أَسْعَدَنَا إِذَا بَذَلْنَا جُهْدَنَا كُلَّهُ لِبِرِّ وَالِدَينَا؛ فَنَفُوزُ بِرِضَاءِ اللَّهِ وَجَنَّتِهِ.

بِرُّ الأُمِّ

ذَاتُ النِّطَاقَينِ: أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بكَرٍ ـ رَضِي اللَّهُ عَنهُمَا ـ صَحَابِيةٌ فَاضِلَةٌ، أَسْلَمَتْ مَعَ أَبِيهَا، وبَقِيتْ أُمُّهَا عَلَى الشِّرْكِ.

وَذَاتَ يومٍ، وَأَسْمَاءُ ـ رضي الله عنها ـ فِي بَيتِهَا، جَاءَتْهَا أُمُّهَا لِتَرَاهَا، وَهِي رَاغِبَةٌ فِي بِرِّهَا، وَخَائِفَةٌ أَنْ تَمْتَنِعَ أَسْمَاءُ مِنْ صِلَتِهَا وَالإِحْسَانِ إِلَيهَا.

فَوَقَعَتِ السَّـيِدَةُ أَسْمَاءُ فِي حَيرَةٍ، فَمَاذَا تَفْعَل؟ هَلْ تَصِلُ أُمَّهَا الْمُشْرِكَةَ؟ أَمْ تُقَاطِعُهَا؟

فَتَوَجَّهَتِ السَّيِدَةُ أَسْمَاءُ إِلَى النَّبِي ﷺ، وَسَأَلَتْهُ: مَاذَا تَفْعَلُ مَعَ أُمِّهَا.

فَأَمَرَهَا الرَّسُولُ ﷺ أَنْ تَصِلَ وَالِدَتَهَا وَتُحْسِنَ إِلَيهَا، فَقَالَ ﷺ: «نَعَم، صِلِي أُمَّكِ».

* * * * *

الْفِدَاءُ الْعَظِيمُ

كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمُ ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ يحِبُّ ابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ حُبًّا شَدِيدًا؛ فَقَدْ رُزِقَ بِهِ بَعْدَمَا كَبُرَتْ سِنُّه، وَطَالَ اشْتِيَاقُهُ لِلْوَلَد. وَذَاتَ لَيلَةٍ، رَأَى إِبْرَاهِيمُ ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ فِي مَنَامِهِ أَنَّهُ يذْبَحُ إِسْمَاعِيلَ، وَأَدْرَكَ إِبْرَاهِيمُ أَنَّ تِلْكَ الرُّؤيا حَقٌّ وَصِدْقٌ، وأَنَّهَا وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ ـ تَعَالَى ـ لِيخْتَبِرَ إِيمَانَهُ وَصَبْرَهُ، فَاستَجَابَ إِبْرَاهِيمُ ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ لأَمْرِ اللَّهِ، وَقَالَ لابْنِهِ: ﴿يَـٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾[الصافات: ١٠٢].

فَاستَجابَ إِسْمَاعِيلُ لِهَذَا الأَمْرِ؛ إِيمَانًا بِاللَّهِ وَطَاعَةً لأَبِيهِ وَبِرًّا بِهِ: ﴿قَالَ يَـٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].



وَعِنْدَمَا اسْتَعَدَّ إِبْرَاهِيمُ ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ لِذَبْحِ إِسْمَاعِيلَ سَمِعَ صَوتًا يقُول: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، فالْتَفَتَ إِبْرَاهِيمُ ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ فَوَجَدَ كَبْشاً أَبْيَضَ اللَّونِ أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ السَّمَاءِ، فَكَانَ فِدَاءً للابْنِ الْبَارِّ إِسْمَاعِيلَ.

فَقَدْ كَافَأَهُمَا اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ عَلَى بِرِّهِمَا وَطَاعَتِهِمَا وَإِيمَانِهِمَا الْعَمِيقِ.

* * * * *

الْبِرُّ بِالْخَالَةِ

ذَاتَ مَرَّةٍ، أَذْنَبَ رَجُلٌ ذَنْباً؛ فَحَزِنَ حُزْنًا شَدِيداً، وَنَدِمَ عَلَى مَا فَعَلَ، وَأَخَذَ يفكِّرُ بينَهُ وَبينَ نَفْسِهِ: هَلْ لِي تَوبَةٌ أَمْ لا؟ وَذَهَبَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ لَهُ: يا رَسُولَ اللَّهِ، أَذْنَبْتُ ذَنْباً كَبِيرًا فَهَلْ لِي تَوبَةٌ؟

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَكَ وَالِدَانِ؟». قَالَ الرَّجُلُ: لا.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَلَكَ خَالَةٌ؟». قَالَ الرَّجُلُ: نَعَمْ.

فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ: «فَبِرَّهَا إِذًا».

وَهكَذَا نَعْلَمُ أَنَّ الْبِرَّ يغْفِرُ الذُّنُوبَ، فَلْنَحْرِصْ عَلَيهِ جَمِيعًا؛ حَتَّى يغْفِرَ اللَّهُ لَنَا ذُنُوبَنَا.

بِرٌّ وَدَعْوَةٌ

أَسْلَمَ أَبُو هُرَيرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ وَظَلَّتْ أُمُّهُ مُشْرِكَةً، فَكَانَ يدعُو اللَّهَ أَنْ يهْديهَا. وَذَاتَ مَرَّةٍ دَعَاهَا إِلَى الإِيمَانِ فَسبَّتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَحَزِنَ أَبُو هُرَيرَةَ حُزْناً شَدِيداً، وَذَهَبَ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ وَهُوَ يبكِي، وأَخْبَرَهُ بِمَا حَدَثَ، وَطَلَبَ مِنْ الرَّسُولِ ﷺ أَنْ يدعُوَ لَهَا. فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيرَةَ». فَفَرِحَ أَبُو هُرَيرَةَ بِدُعَاءِ الرَّسُولِ ﷺ، وَذَهَبَ إِلَى بَيتِه، فَوَجَدَ الْبَابَ مُغْلَقًا، وَشَعَرَتْ أُمُّهُ بِهِ، وكَانَتْ تَغْتَسِلُ، فَطَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ ينْتَظِرَ، وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا وَخِمَارَهَا، ثُمَّ فَتَحَت الْبَابَ وقَالَتْ: يا أَبَا هُرَيرَةَ! أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

فَرِحَ أَبُو هُرَيرَةَ، وَذَهَبَ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ، وَقَالَ لَهُ: يا رَسُولَ اللَّهِ! ادعُ اللَّهَ أَنْ يحبِّبَنِي أَنَا وأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، ويحَبِّبَهُم إِلَينَا، فَقَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيدَكَ هَذَا وأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ».

* * * * *

الْبِرُّ بِالْمُشْرِكِ

اخْتَارَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ إِبْرَاهِيمَ ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ نَبِيّاً، وَلَكِنَّ أَبَاهُ كَانَ يصْنَعُ الأَصْنَامَ وَيبِيعُهَا لِقَومِهِ، فَكَانُوا يعْبُدُونَهَا، وَيعْتَقِدُونَ أَنَّهَا تَنْفَعُهُمْ فَتَجْلِبَ لَهُمُ الرِّزْقَ، وأَنَّهَا تَضُرُّهُمْ وتَأْتِيهِمْ بِالْمَهَالِكِ.

وَلَمَّا كَانَ إِبْرَاهِيمُ ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ بَارّاً بِأَبِيهِ، فإِنَّهُ دَعَاهُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ بِأسْلُوبٍ جَمِيلٍ، فَقَالَ لَهُ: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٢ ـ ٤٥].

لَكِنَّ الأَبَ رَفَضَ نَصِيحَةَ ابْنِهِ، وَأَصَرَّ عَلَى عِبَادَةِ الأَصْنَامِ، وَلَمْ يكْتَفِ بِهَذَا، بَلْ هَدَّدَ إِبْرَاهِيمَ بِالرَّجْمِ إِنْ لَمْ يرْجِعْ عَنْ دَعْوَتِهِ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يهْجُرَهُ وَيبْتَعِدَ عَنْهُ.

فَلَمْ يثْنِ هَذَا إِبْرَاهِيمَ ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ عَنْ بِرِّهِ بِأَبِيهِ، وَمَا زَادَ عَلَى أَنْ هَجَرَ أَبَاهُ هَجْراً جَمِيلاً، وَهُوَ يقُولُ لَهُ: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾.

بِرُّ النَّبِيِّ ﷺ

كَانَتْ السَيِّدَةُ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدٍ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا ـ زَوجَةَ أَبِي طَالِبٍ عَمِّ الرَّسُولِ ﷺ، وكَانَتْ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَانَ يَبَرُّهَا، وَيحْسِنُ إِلَيهَا.

وَلَمْ يبرَّهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَياتِهَا فَحَسْب، بَل أَحْسَنَ إِلَيهَا عِنْدَ مَمَاتِهَا.

فَقَدْ رُوِي أَنَّهَا لَمَّا مَاتَتْ أَلْبَسهَا النَّبِي ﷺ قَمِيصَهُ واضطجَعَ فِي قَبْرِهَا.

فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: مَا رَأَينَاكَ يا رَسُولَ اللَّهِ صَنَعْتَ هَذَا مَعَ أَحَدٍ مِنْ قَبْلُ.

فَقَالَ ﷺ: «إِنَّهُ لَمْ يكُنْ أَحَدٌ بَعْدَ أَبِي طَالِبٍ أَبَرُّ بِي مِنْهَا، إِنَّمَا أَلْبَسْتُهَا قَمِيصِي لِتُكْسَى مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ، واضطَجَعْتُ مَعَهَا لِيهَوَّنَ عَلَيهَا».

* * * * *

إِلاَّ الشِّرْكَ!

كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ ـ مِنْ السَّابِقِينَ الأوائلِ إِلَى الإِسْلامِ.

وكَانَ سَعْدٌ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ ـ مُطِيعاً لوالدَتِه بَاراًّ بِهَا، يحِبُّهَا حُبّاً كَثِيراً، ولا يعْصي لَهَا أمْراً. لَكنَّهَا ظَلَّتْ عَلَى كُفْرِهَا، تَعْبُدُ الأَصْنَامَ، فَحَزِنَتْ لِدُخُولِ سَعْدٍ فِي دِينِ الإِسْلامِ، وتَضَايقَتْ لِذَلكَ أَشَدَّ الضِّيقِ، وَحَلَفَتْ ألا تُكَلِّمَهُ أَبداً حَتَّى يكْفُرَ بِدِينِ اللَّه الْحَقِّ، ويعُودَ إِلَى دِينِ آبَائِهِ وأجْدَادِه، وَقَالَتْ لَهُ: زَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ وَصَّاكَ بِوالِدَيكَ، وَأَنَا أُمُّكَ، وأنَا آمُرُكَ بِهذَا.

وظَلَّتْ أُمُّ سَعْدٍ لا تَأكُلُ ولا تَشْرَبُ ثَلاثَةَ أيامٍ حَتَّى أوشكَتْ عَلَى الْهَلاك؛ ظَنّاً مِنْهَا أنَّ سَعْداً سيَتَراجَعُ عَنْ الإِسْلامِ إِذَا رَآهَا تَمُوت، ولَكِنَّ سَعْدًا لَمْ يسْتَجِبْ لَهَا.

وأنْزَلَ اللَّهُ قُرآناً يؤيِّد فِيهِ مَوقفَ سَعْدٍ مِنْ أُمِّهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨].

* * * * *

الْبِرُّ مِفْتَاحُ الْفَرَجِ

فِي يومٍ مِنْ أَيَّامِ الشِّتَاءِ، انْطَلَقَ ثَلاثَةُ رِجَالٍ فِي سَفَرٍ، فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَيهِمُ اللَّيلُ دَخَلُوا غَارًا يبِيتُونَ فِيهِ، فَسَقَطَتْ صَخْرَةٌ كَبِيرَةٌ عَلَى بَابِ الْغَارِ فَسَدَّتْهُ.

وَفكَرَّ الثَّلاثَةُ فِي حَلٍّ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: إِنَّهُ لا ينْجِيكمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرةِ إِلا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ.

فَذكَرَ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ كَانَ لَهُ وَالِدَان كَبِيرَان، فَكَانَ يرعَى الْغَنَمَ نَهارًا، وإِذَا عَادَ لَيلاً أَخَذَ مِنْ لَبَنِ الأَغْنَامِ لأَبَوَيهِ؛ لِيطْعِمَهُمَا مِنْهُ.

وَذَاتَ يومٍ، عَادَ الابْنُ مُتَأَخِّرًا، فَحَلَبَ شَاةً، وأَسْرَعَ بِلَبَنِهَا إِلَى وَالِدَيهِ، فَوَجَدَهُمَا قَدْ نَامَا. فَظَلَّ وَاقِفاً بِجِوارِهِمَا طُوَالَ اللَّيلِ، وَإِنَاءُ اللَّبنِ فِي يدَيهِ، حَتَّى طَلَعَ الصُّبْحُ وَاسْتَيقَظَا فَسَقَاهُمَا مِنْ اللَّبَنِ. ثُمَّ دَعَا الرَّجُلُ، فَقَالَ: اللّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعلْتُ ذَلكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ شَيئاً قَلِيلاً بِفَضْلِ بِرِّ هَذَا الرَّجُلِ بِوَالِدَيهِ.

ثُمَّ ذَكَرَ كُلُّ وَاحدٍ مِنْ الاثْنَينِ الآخَرِينِ عَمَلاً صَالِحًا لَهُ؛ فَتَبَاعَدَتِ الصَّخْرَةُ عَنْ فُوَّهَةِ الغَارِ وَنَجَّاهُم اللَّهُ تَعَالَى.

* * * * *

الابْنُ البَارُّ

كَانَ لأَحَدِ النَّاسِ ابْنٌ صَالِحٌ بَارٌّ بِهِ، وكَانَ هَذَا الابْنُ يحْرَصُ دَائمًا عَلَى رِضَا أَبِيهِ؛ فَأَحَبَّهُ أَبُوهُ حُبًّاً شَدِيداً. وَعُرِفَ الابْنُ بَينَ النَّاسِ بِبرِّهِ الْعَظِيمِ بِوالِدَيه.

فَأَخَذَ النَّاسُ يتَسَاءلُونَ فِيمَا بِينَهُم عَمَّا يفْعَلُهُ هَذَا الابْنُ؛ حَتَّى أَصْبَحَ مِثَالاً يحْتَذَى فِي الْبِرِّ بِالْوالِدَين؟

وَذَاتَ مَرَّةٍ، قَابَلَ أَحَدُ النَّاسِ وَالِدَ هَذَا الابْن الْبَارِّ وَسَأَلَهُ عَنْ سُلُوكِ ابْنه مَعَهُ.

فَأَخْبَرَهُ الْوَالِدُ أَنَّ ابْنَهُ إِذَا سَارَ مَعَهُ فِي النَّهَارِ سَارَ خَلْفَهُ احْتِرَاماً وَتَقْدِيرًا، وإِذَا سَارَ مَعَهُ فِي اللَّيلِ فَإِنَّهُ يسِيرُ أَمَامَهُ؛ لِيرْشِدَهُ إِلَى الطَّرِيقِ، ولَمْ يصْعَدْ سَطْحَ بَيتٍ يكُونُ أَبُوهُ تَحْتَهُ أَبَداً.

*****

البِرُّ بالأَخَوَاتِ

اسْتُشْهِدَ الصَّحَابِيّ الْجَلِيلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَرَامٍ - رَضِي اللَّهُ عَنْهُ - تَارِكًا وَرَاءهُ تِسْعَ بَنَاتٍ صَغِيرَاتٍ، فَأَرَادَ ابْنُهُ جَابِرٌ - رَضِي اللَّهُ عَنْهُ - أَنْ يتَزَوَّجَ امْرَأَةً تَقُومُ عَلَى خِدْمَةِ أَخَوَاتِهِ وَرَعَايتِهِنَّ؛ فَتَزَوجَ امْرَأَةً ثَـيِّباً (سَبَقَ أَنْ تَزَوَجَتْ قَبْلَ ذَلكَ).

وَذَهَبَ جَابِرٌ - رَضِي اللَّهُ عَنْهُ - إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ تَزَوجَ ثَيبًا، فَأَرَادَ الرَّسُولُ ﷺ أَنْ يعْرِفَ لِمَاذَا فَضَّلَ الزَّوَاجَ مِنْ ثَيّبٍ عَلَى الزَّوَاجِ مِنْ بِكْرٍ (لَمْ يسْبِقْ لَهَا الزَّوَاجُ)؟

فَأَخْبَرَهُ جابِرٌ - رَضِي اللَّهُ عَنْهُ - بِأَنَّ أَبَاهُ قَدْ مَاتَ وَتَركَ لَهُ بَنَاتٍ صَغِيراتٍ، فأَحَبَّ أَنْ يتَزَوَّجَ امْرَأَةً تَرْعَى شُؤُونَهُنَّ، وَتَهْتَمُّ بِأُمُورِهِنَّ، فَذَلِكَ أَفْضَلُ مِنْ أَنْ يأْتِيهُنَّ بِفَتَاةٍ فِي مِثْلِ سِنِّهِنَّ، لا تُحْسِنْ رِعَايةَ الصِّغَارِ، ولا تَدْبِيرَ أُمُورِهِنَّ. فَأَعْجبَ الرَّسُولُ ﷺ بِفِعْلِ جَابِر - رَضِي اللَّهُ عَنْهُ - وَبِبِرِّهِ بِأَخَوَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ».

* * * * *

قَصَصٌ فِي البِرِّ

أَمَرَ اللَّهُ ـ عَزَّ وجَلَّ ـ الأَبْنَاءَ بِبِرِّ آبَائِهِم وَالإِحْسَانِ إِلَيهِمْ؛ لِمَا لَهُمْ عَلَيهِم مِنْ فَضْلٍ كَبِيرٍ.

وَقَدْ رَبَطَ اللَّهُ الإِحْسَانَ إِلَى الْوَالِدَينِ بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ؛ تَعْظِيمًا لِلدَّوْرِ الْكَبِيرِ لِلْوَالِدَينِ فِي حَيَاةِ الأَبْنَاءِ، كَمَا وَصَّانَا اللَّهُ بِالرِّفْقِ بِهِمَا، والتَّوَاضُعِ لَهُمَا. وَبَلَغَ مِنْ تَعْظِيمِ اللَّهِ لِقَدْرِ الْوَالِدَينِ أَنْ حَذَّرَ مِنْ عُقُوقِهِمَا، وَلَو كَانَا عَلَى الشِّرْكِ، واعْتَبَرهُ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، وَتَوَعَّدَ فَاعِلَهُ بِالنَّارِ، إِلا أَنْ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيهِ فَيرْضِي وَالِدَيهِ، وَيقَدِّم إِلَيهِمَا مَا يجِبُ عَلَيهِ مِنْ وَلاءٍ وَطَاعَةٍ.

إِنَّ الآبَاءَ قَدْ تَحَمَّلُوا الْكَثِيرَ مِنْ المَشَاقِّ والصِّعَابِ حَتَّى يكْبُرَ أَبْنَاؤهُمْ، وَيصْبِحُوا رِجَالاً يسْتَطِيعُونَ الاعْتِمَادَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، بَعْدَمَا كَانُوا أَطْفَالاً لاحَوْلَ لَهُمْ وَلا قُوة.

فَعَلَيكَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ أَنْ تُكْرِمَ وَالِدَيكَ، وَتُحْسِنَ إِلَيهِمَا، وَتَدْعُو لَهُمَا فِي حَيَاتِهِمَا وَبَعْدَ وَفَاتِهِمَا، فَإِنَّ رِضَا الْوَالِدَينِ مِنْ رَضَا رَبِّكَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

*****

سلسلة قصص في الأخلاق

٨١٠٠٥٦